

شبهات حول تكفير شاتم سأب الدين

للشيخ؛ أبي محمد المقدسي

الشيخ أبا محمد...
السلام عليكم ورحمة الله.
سمعت لبعض المشايخ المنتسبين للسلفية
محاضرة ذكر فيها؛ أنه يرى أن العمل في الإيمان
هو شرط صحة، لكن لما سئل عن قضية سب
الدين أو الرسول قال؛ أنه مع الإجماع لكن يقول
بأن هناك حوادث أعيان مثل حادثة محمد بن
مسلمة حيث شتم الرسول صلى الله عليه وسلم
وقصة إبراهيم عليه السلام لما قال للشمس؛ هذا
ربي، فيقول بأن هذا القول ظاهره كفر وكذا
إلقاء موسى للألواح، وهذا فعل ظاهره الكفر،
وذكر قول الحواريين لعيسى عليه السلام في
قصة المائدة.
واستدل بكل هذه الحوادث على أن كل من
سب الدين أو الرسول صلى الله عليه وسلم يجب
أن يتبين حاله ولا ينبغي المبادرة إلى تكفيره.
فما قول الشيخ في هذا أفيدونا أفادكم الله.

* * *

الجواب:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول
الله.

الأخ الفاضل.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخي الكريم:

بالنسبة لما نقلته لي من كلام بعض المشايخ حول
شبهات ذكرها وعددها حول الكفر العملي، حاول أن يدلك
بها على دعوى وجوب التفصيل في شاتم الرسول صلى

الله عليه وسلم، مطلقاً فكأنني به يصبو بذلك إلى الدفع عن
شيخه الألباني في مسألة سب الرب أو الرسول التي
خالف بها شيخه الأجماع على كفر سب الله والرسول،
واشترط لذلك شرطاً جهماً إرجائياً، ألا وهو الاستحلال
الذي لا يشترط إلا في الذنوب غير المكفرة، أما في
المكفرات الصريحة فلا يورده على سبيل الاشتراط إلا أهل
التجهم والإرجاء، إذ أن لازم تعريفهم للإيمان على أنه
تصديق القلب وحسب؛ أن لا يكون الكفر إلا ما يقابل ذلك
من جحد القلب وتكذيبه أو استحلاله، أما أهل السنة
القائلين بأن الإيمان قول وعمل واعتقاد فالكفر عندهم
مثل ذلك قد يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد.

وما ذكره الشيخ المذكور من حوادث أعيان لا يقدر
في هذا الأصل ولا يعكر عليه عند التحقيق ولا دخل له من
قريب أو بعيد بشتم الرسول صراحة؛ المجمع على كفر
قائله.

فقصة محمد بن مسلمة لما قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود:

ليس فيها ما زعمه الشيخ المذكور من سب للرسول،
ولكنه كان قد استأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن
له بأن يقول في حقه شيئاً يخادع به الطاغوت فأذن له
بذلك؛ وعليه فلو كان ما قاله بالفعل سب صريح للنبي
صلى الله عليه وسلم لما كان في ذلك حجة لأحد بعد إذن
النبي صلى الله عليه وسلم وعفوه عن خصوص حقه، إذ
يجوز له صلى الله عليه وسلم أن يأذن ويتسامح ويعفو عما
كان حقاً له مندرجاً تحت حقوق العباد أو يترجح حقه فيه،
أما أمته فلا يجوز لها أن تتنازل أو تعفو عن حقه.

فكيف والصحيح أن محمد بن مسلمة لم يتفوه
بمسبة للنبي صلى الله عليه وسلم أو طعن فيه؛ بل كل ما
قاله لا يعدو كونه تورية وتعريض بالنبي صلى الله عليه
وسلم - استأذنه به - يوهم أنه ليس على وئام معه وأنه
يعاني من تكاليفه، وليس فيه قدح صريح به صلى الله عليه
وسلم.

فالثابت أنه قال كما في صحيح البخاري: (إنَّ هذا
الرجل قد سألنا الصدقة وإنه قد عتانا)، فهذا ليس بقدح
بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهو رجل كما أن سائر الأنبياء
رجال، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي

{اليهم}، وكونه صلى الله عليه وسلم أراد منهم فريضة الصدقة، فهذا حق محض، وهي مما عنانا الله به، أي كلفنا به مع سائر التكاليف، ووصف التكاليف بذلك ليس بكفر فإن من التكاليف ما فيه عناء ومشقة يكرهها الإنسان، كما قال تعالى: {كتب عليكم القتال وهو كره لكم}.

ومثل ذلك يقال أيضا في رواية ابن سعد - إن صحت - ولفظها: (كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء)، فهذا حق وقد فسره في الرواية بقوله: (حاربتنا العرب، ورمتنا عن قوس واحدة)، ففي الحديث القدسي: (إنما بعثت لأبتليكم وأبتلي بكم)، فأين الشتم في هذا كله حتى ينتهض ويصلح ما استدل به الشيخ المذكور؟

أما قصة إبراهيم عليه السلام لما قال عن الشمس؛ هذا ربي:

فالصحيح اللائق بإمام الحنفاء أنه إنما قاله على وجه المناظرة والتنزل للخصم لاستدراجه ومن ثم بيان سفه قوله وزعمه، فمعلوم أن قومه كانوا يعبدون الكواكب، فيكون المعنى "هذا ربي"؛ فهل ننظر هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ كما ذكر ذلك غير واحد من المفسرين.

أو كما قال بعضهم أنه قال: هذا ربي على قولكم فانظروا كيف يافل، لأنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر مع الأصنام، ونظير هذا قوله تعالى: {أين شركائي}؟ وهو جل وعلا واحد لا شريك له؛ والمعنى أين شركائي على قولكم؟

أما أن يؤول ذلك ويفسر على أن إبراهيم تدرج في عبادة غير الله أو في اعتقاد الربوبية لغير الله وهو إمام الحنفاء!! فمحال؛ كيف وقد اتاه الله رشده من قبل؟ وأراه ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، وقال جل وعلا عنه: {إذ جاء ربه بقلب سليم}، أي لم يشرك به قط، كما ذكر القرطبي وغيره، وقد ذكر الله ذلك صراحة عن إبراهيم عليه السلام فوصفه تعالى في عدة آيات بقوله: {وما كان من المشركين}.

يقول الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان: (ونفي الكون الماضي يستغرق جميع الزمن الماضي، فثبت أنه لم يتقدم عليه شرك يوما ما، وأما كونه جازما موقنا بعدم ربوبية غير الله، فقد دل عليه ترتيب قوله تعالى: {فلما جن

عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي... { إلى آخره "بالفاء" على قوله: {وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين}، فدل على أنه قال ذلك موقنا مناظرا ومحاجا لهم، كما دل عليه قوله تعالى: {وحاجه قومه... الآية}، وقوله: {وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه... الآية} والعلم عند الله تعالى) أه.

أما الإلقاء موسى للألواح عندما رجع إلى قومه غضبا إذ رأهم يعبدون العجل:

فهذا لا يدل على ما ذهب إليه الشيخ المذكور، لأن الإلقاء الألواح قد يكون بإنزالها من يديه ووضعها جانبا للإقبال على أخيه وأخذه من رأسه ولحيته، دون أن يكون بذلك الإلقاء استخفاف أو إهانة أو تحقير؛ وهي الصورة والهيئة التي يكفر بها ملقي كتاب الله، أما من القاه؛ بمعنى أن خلاه ووضعها جانبا دون استخفاف به فلا يكفر قطعا، وقد قال تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرا لِلْكَافِرِينَ}، فدل على أن من الإلقاء للكتاب ما هو على سبيل الأكرام لا على سبيل الاستخفاف والتحقير.

وهذا هو الأصل في الأنبياء وأفعالهم لا ما يحاول أن يلصقه بهم من لا خلاق له من دعوى إلقاءه على وجه الاستخفاف والاهانة، كي يصلح لهم بعد ذلك الاستدلال به في إعدار الطاعنين في الدين من الشائنين للكتاب والمرتدين والملحدين.

وكذا لو ألقاه وهو ذاهل عن كونه كتاب الله أو ناس من شدة الغضب؛ فهذا من باب انتفاء القصد الذي هو من موانع التكفير بالاتفاق.

فالمحتج بمثل هذه الحادثة على ما ذكره الشيخ المذكور يجب عليه أولا أن يثبت أن موسى ألقى الألواح على جهة الاستهانة بها أو الاستخفاف والتحقير، ودون ذلك خبط القناد، فإن الله لم يذكر غير الإلقاء المجرد؛ ودل السياق على أن ذلك صدر منه حال الغضب لدين الله والحمية له والغيرة على محارمه، فكيف يكون ذلك استهانة بكتابه؟!

قال الإكوسي في روح المعاني: (إن موسى عليه السلام لما رأى من قومه ما رأى؛ غضب غضبا شديدا حمية

للدين وغيره من الشرك برب العالمين فعجل في وضع الألواح لتفرغ يده فيأخذ برأس أخيه، فعبر عن ذلك الوضع بالإلقاء تفضيلاً لفعل قومه، حيث كانت معاينته سبباً لذلك ودأباً إليه، مع ما فيه من الإشارة إلى شدة غيرته وفرط حميته، وليس في ذلك ما يتوهم منه نوع إهانة لكتاب الله تعالى (وجه من الوجوه) أهـ.

أما قول الحواريين لعيسى عليه السلام في قصة المائدة { هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }:

فليس هو على ما ذهب إليه الشيخ المذكور وغيره من أن الحواريين في مقالتهم هذه شكوا في قدرة الله ومع هذا لم يكفروا؛ وأرادوا بهذه المدعوى إغذار الكفار والمرتدين بل والمحاريين في كفرهم المغلظ وردتهم الصريحة وشتمهم للدين أو الرسول صلى الله عليه وسلم!!

ومع التنزل لهم في هذا القياس الفاسد ذي الفوارق العديدة والمتشعبة؛ نسال: هل يعقل أن يجهل خاصة الأنبياء وخلصاؤهم أعظم صفات الرب جل وعلا ألا وهي القدرة على كل شيء؟! كيف وقد عاينوا من المعجزات الباهرة ما هو أعظم؟! فعاينوا إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على يدي نبيه عليه السلام، فهل يعقل بعد هذا أن يشكوا في قدرة الله على أنزال مائدة من الطعام عليهم؟!!

يقول القرطبي في تفسيره: (إن الحواريين خلصاء الأنبياء، ودخلاؤهم وأنصارهم، كما قال تعالى: {نحن أنصار الله}، ومعلوم أن أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم؛ جاؤوا بمعرفة الله تعالى وما يجب له وما يجوز وما يستحيل عليهم، وأن يبلغوا ذلك أممهم؛ فكيف يخفى ذلك على باطنهم، واختص بهم حتى يجهلوا قدرة الله تعالى) أهـ.

وعليه؛ فالصحيح أن قول الحواريين لم يخرج مخرج الشك في قدرة الله تعالى، وإنما هو كما ذكر أهل التفسير في حملهم معنى الآية على إحدى روايتها؛ وكلاهما خرجتا بمعنى بعيد كل البعد عما ذهب إليه الشيخ المذكور، فقراءة الكسائي وهي قراءة علي بن أبي طالب وعائشة ومعاذ وابن عباس وجماعة من الصحابة بلفظ: "هل تستطيع"

بالتاء، أي: هل تستطيع يا نبي الله أن تدعوك ربك، والثانية القراءة المعروفة بالياء ومعناها: هل يجيبك ربك إن سألته؟ وهي لغة مستعملة عند العرب تقول: هل تستطيع أن تأتي لي الليلة أو هل تقدر أن تأتيني؛ أي: هل تلبني طلبني وتجيبي فتأتيني.

ولعل من هذا القبيل قوله تعالى: {وَكَاثُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}، فقد كانت لهم أسماع وأذان يسمعون بها الخطاب، ولكنهم لم يكونوا يستمعون بسماع قبول واستجابة، فمعنى {لا يستطيعون سماعًا}؛ أي لا يريدون ذلك ولا يقبلونه ولا يطيقون سماعه.

والله تعالى أعلم.

أما التفصيل في شأن سب الرسول أو الدين:

فهذا إنما يكون في السب المحتمل أو غير الصريح الذي قد يكون له مخرج غير الكفر، أما السب الصريح فقد عده العلماء حراية ولم يعذروا فيه بالتأويل، وراجع في هذا كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية "الصارم المسلول على شاتم الرسول"، فإنه يوزن بالذهب.

واحمد إلهك أن عافاك مما ابتلي به المجادلون عن بشاتمي الدين والرسول صلى الله عليه وسلم، وتامل كيف أزرى القوم بأنفسهم حين تتبعوا مثل هذه الحوادث حيث أرادوا بها الترقيع لشاتمي الدين والرسول، فلم يجدوا وسيلة إلا اتهام أنبياء الله بالاستخفاف بكلامه وكتبه أو الاشرار بربوبيته!! أو اتهام خواص أصحاب الأنبياء بالبشك في قدرة الله تعالى!! أو اتهام أصحاب خاتم الأنبياء والمرسلين بشتم الرسول صلى الله عليه وسلم!! وهم الذين بكى بعضهم وخاف على نفسه حيوط أعماله بالكفر؛ ليكون صوتهم عال وجهوري يوم نزل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}.

واعلم أخيرا:

أن العبرة ليست فقط بالتعريفات ودعاوى الانتساب إلى السلفية؛ فإن أكثر من نخالفهم من مرجئة زماننا كما

شبهات حول تكفير شاتم الدين

ذكرت في كتابي "إمتاع النظر في كشف شبهات مرجئة العصر"، يُعرفون الإيمان تعريفاً صحيحاً كتعريف، وإنما يحصل التخييط عندهم في التطبيق العملي المقابل واللازم لتعريف الإيمان عند أهل السنة، وأعني بذلك أحكام التكفير؛ حيث يشترطون الجحد القلبي أو الاستحلال في ابواب الكفر العملي مطلقاً، وما ذلك في حقيقته إلا لازم مذهب من يرى أن الإيمان هو التصديق القلبي وحسب، حيث يلزم من ذلك أن لا يكفر إلا بما يقابل التصديق من الجحد أو الاستحلال القلبي.

فتنبه لهذا رزقني الله وإياك العلم النافع والبصيرة
في الدين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين

أخوك؛ أبو محمد

منبر التوحيد والجهاد

* * *

ten.esedqamla.www//:ptth

sw.dehwat.www//:ptth

ofni.hannusla.www//:ptth

moc.adataq-uba.www//:ptth

موقعنا على الشبكة

(7) sw.dehwat.www//:ptth

ten.esedqamla.www//:ptth

ofni.hannusla.www//:ptth

moc.adataq-uba.www//:ptth

ر ال

منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www

sw.esedqamla.www

ofni.hannusla.www

moc.adataq-uba.www

at.www
a.www
a.www
www